وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا بالقلب واللسان نعمة الله اي الذي لا منعم
في الحقيقة سواه عليكم اي في دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما صنع
بكم من المنن تشكروه ولا تكفروه تنبيه نعمة هنا مجرورة في الرسم ووقف
عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء واذا وقف الكسائي امال
الهاء ولما امر بذكر نعمته اكد التعريف بانها منه وحده على وجه بين عزته وحكمته
بقوله تعالى منبها لمن عقل موبخا لمن جحد ورادا على اهل القدر الذين يدعون انهم
يخلقون افعالهم ومنبها على نعمة الايجاد الاول هل من خالق اي للنعم وغيرها
غير الله اي فليس للغير به في ذلك مدخل يستحق ان يشرك به وقرا حمزة
والكسائي بجر الراء نعتا لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدا مزاد فيه من
والباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه احدها انه خبر المبتدا والثاني انه
صفة لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع
اسم الفاعل على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد اعتمد على اداة الاستفهام
ولما كان جواب الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده قال منبها على نعمة
الابقاء الاول بقوله تعالى يرزقكم اي وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها
منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا ولما كانت كثرة الرزق
كما هو مشاهد مع وحدة المنيع ادل على العظمة قال من السما اي المطر وغيره
والارض اي بالنبات وغيره ولما بين انه الرازق وحده قال لا اله الا هو
فانى تؤفكون اي من اين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق
وتشركون المنحوت بمن له الملكوت ولما بين تعالى الاصل الاول وهو
التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى وان يكذبوك يا اشرف
الخلق في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك فقد
كذبت رسل من قبلك في ذلك فان قيل فما وجه صحة جزا الشرط ومن
حق الجزا ان يعقب الشرط وهذا سابق له اجيب بان معناه وان
يكذبوك فتاس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من
قبلك موضع فتاس استغنا بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب
عن التاسي فان قيل ما معنى التنكير في رسل اجيب بان معناه فقد كذبت
رسل اي رسل ذو عدد كثير واولو ايات وقدروا اهل اعمار طوال واصحاب
راي وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة قال
القشيري وفي هذا اشارة للحكما وارباب القلوب مع العوام والاجانب
من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل واهل الحقايق ابدا
منهم في مقاساة الاذية والعوام اقرب الى هذه الطريقة من القرا المتقشفين
ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب له الثواب
بقوله تعالى والى الله اي وحده لان له الامور كلها ترجع الامور اي في الاخرة

فيجازيكم

فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر
بقوله تعالى يا ايها الناس ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله تعالى ان وعد الله
اي الذي له صفات الكمال بكل ما وعد له من البعث وغيره حق اي ثابت لا
خلف فيه وقد وعد انه يردكم اليه في يوم تنقطع فيه الاسباب ويعرض عن
الاحساب والانساب فلا تغرنكم اي بانواع الخداع من اللهو والزينة
الحياة الدنيا فانه لا يليق بذي همة علية اتباع الدني والرضا بالدون
الزايل عن العالي الدايم ولا يغرنكم بالله اي الذي لا يخلف الميعاد وهو الكبير
المتعال الغرور اي الذي لا يصدق في شي وهو الشيطان العدو
ولذلك استانف قوله تعالى مظهرا في موضع الاضمار ان الشيطان اي
المحترق بالغضب البعيد عن الخير لكم اي خاصة عدو فهو في غاية
الفراغ لاذاكم بتصويب مكايده كلها اليكم وبما سبق له مع ابيكم
ادم عليه السلام بما وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد
عاداك فاجتهدوا في الهرب منه ولا تتوالوه كما قال تعالى فاتخذوه اي بغاية
جهدكم عدوا اي في عقايدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على
معاداته ومناصبته في سركم وجهركم قال القشيري ولا يقوى على عداوته
الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل انت عن
مولاك لحظة ثم علل عداوته بقوله انما يدعو حزبه اي الذي يوسوس لهم
فيفرضهم لاتباعه والاعراض عن الله تعالى ليكونوا باتباعه كونا راسخا من
اصحاب السعير وهذا غرضه لا غرض له سواه ولكنه يجتهد في
تعميه ذلك عنهم بان يقرر في نفوسهم جانب الرجا وينسيهم جانب
الخوف ويريهم ان التوبة في ايديهم ويسوف لهم بها بالفسحة في الامل له
والابعاد في الاجل للافساد في العمل والرحمن انما يدعو عباده ليكونوا
من اهل النعيم كما قال والله يدعو الى دار السلام ثم بين تعالى ما حال
حزب الشيطان بقوله تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد اي في الدنيا بفوات
ما يؤملون مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصايرهم وسفالة هممهم حتى انهم
رضوا ان يكون الههم حجرا وفي الاخرة بالسعير التي دعاهم الى صحبتها ثم
بين حزبه تعالى بقوله سبحانه والذين امنوا وعملوا اي تصديقا لايمانهم
الصالحات من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك من الماموراتت لهم مغفرة
اي ستر لذنوبهم في الدنيا ولولا ذلك افتضحوا وفي الاخرة بحيث لا عتاب
ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا واجر كبير هو الجنة والنظر الى وجهه
الكريم فالمغفرة في مقابلة الايمان فلا يؤبد مومن في النار والاجر الكبير في
مقابلة العمل الصالح ونزل كما قال ابن عباس في ابي جهل ومشركي العرب
افمن زين له سوء عمله اي قبحه الذي من شانه ان يسوء صاحبه حالا او مالا

Copyright … King Saud University